الملتقى الوطني الموسوم بـ:
اتجاهات التفسير في التراث التفسيري الجزائري: معالم ومقاصد
يوم الإثنين 2023/02/27م – الموافق لـ: 07 شعبان 1444هـ
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

اسهامات الأمير عبد القادر في علم التفسير من خلال كتـاب المواقف

Contributions of Emir Abdelkader in Quran Interpretation through his book Kitab Al-Mawaqif

الدكتورة آسيـا عمور [1]

assia.amour@Univ-emir.dz

ملخص البحث:

من الأسماء المتميزة التي خُطَ اسمها بمداد الشرف في سجل التاريخ الأمير عبد القادر(+1807م -1883م)، الذي كان له اسهام في المكتبة الجزائرية، بكتـابه "**المواقف**" -على اعتبار صحة نسبته إليه-[2] والذي ضمنه تفسيرا لعدد من الآيـات القرآنية، فكانت هذه الدراسة المعنونة بـ : **اسهامات الأمير عبد القادر في علم التفسير من خلال كتـاب "المواقف"**

وعلى هذا الأساس تمّ طرح **إشكالية البحث** :

ما هي جهود الأمير عبد القادر في تفسير القرآن الكريم، وما هي أبرز سمات ذلك التفسير واتجاهاته؟

وتأتي معها هذه التساؤلات:

-ما هي روافده في التأويل؟

-ما أثر الاتجاه الصوفي في تفسيره للآيات القرآن؟

-ما الذي ساهم في إنتاج التجربة الصوفية عنده؟

-هل هذه الإشارات تخدم القرآن وتوضح معانيه وتكشف أسراره؟

وتهدف هذه الورقة إلى:

- لفت الانتباه إلى مساهمة علم من علماء الجزائر في ميدان تفسير القرآن الكريم، وهو الأمير عبد القادر المجاهد المتصوف

- إبراز أثر المدرسة الصوفية في اسهاماته التفسيرية.

منهج البحث: الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي.

---

1 -أستـاذ محـاضر "أ" - قسم الكتـاب والسنة - كلية أصول الدين- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[2] ينظر: الرد على من أنكر نسبة المواقف للأمير عبد القادر، عبد الباقي مفتاح، على الرابط: https://books.openedition.org/ifpo/2527

خطة البحث:

مدخل مفاهيمي

1. ارهاصات التصوف عند الأمير عبد القادر
2. التعريف بكتابه المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد
3. معالم التأويل الصوفي عند الأمير عبد القادر من خلال كتابه "المواقف"

الخاتمة ونتائج البحث

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير الإشاري، الأمير عبد القادر، التصوف، المواقف

Abstract: El Emir Abdelkader ibn Muhieddine ibn Mustafa (1807-1883) is one of the most distinguished names that had been honorably marked in history. He is one of the most famous figures of the 19th century, having lived throughout the last days of the Algerian Dayat period and throughout the French colonization. His life isn't just one tributary of easily-grasped human activity; rather, he is more like a vast ocean that tires one's sight. Indeed, he was a man of knowledge, opinion, thought, and methodology; one of war, governance, and politics. He was a committed poet, an experienced sufi, an intelligent faqih, and an active socialite. He contributed to Algerian writing through his book 'Al-Mawaqif' (The Book of the Haltes) in which he included interpretations of many Quran verses .

On that basis, we present this study titled : **'Contributions of Emir Abdelkader in Quran Interpretation through his book Kitab Al-Mawaqif'**, in which, the posed problematic is:

What are the efforts made by Emir Abdelkader in Quran Interpretation? And what are the characteristics of that interpretation?

Keywords: Quran, Sufi Interpretation, Emir Abdelkader, Sufism, The Book of the Haltes

ـ مدخل مفاهيمي:

التفسير منهج للفهم القرآني وهو علم مداره على فهم المراد من الخطاب الربّاني لِعباده، بغرض التعبُّد والامتثال لله سبحانه. وعلم التفسير من أجل العلوم وأشرفها لأن محوره القرآن، لذلك اهتم العلماء على اختلاف مناهلهم بفهم معاني كلام الله عز وجل، فعمدوا إلى استقراء آياته، واستكنـاه دلالاته، وتشريح بناه وألفاظه، وتفسير أنسقته، ميسرين كل ما يستوجب التيسير بحسب رؤاهم اللغوية، معتمدين في ذلك على آليات تبسيطية تجعل من المعاني تطفو على هياكلها الشكلية.[1]

والغاية الأسمى من علم التفسير تجديدُ الاتصال بالوحي، وتعريف العباد على منهجيّة التلقي للهدى الربّاني المنزل من السماء ليكون منهج حياة ونبراسا للمسلمين.

ومن أنواع التفاسير: التفسير الإشاري الرمزي الذي تناول الجوانب الروحية في استنباطه لمعاني الآيات، ويعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي في مقاماتهم حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه مكنونات العلم وأسرار المعرفة[2].

قال الزُّرْقاني (ت1367هـ): «هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا[3]. وهذا التفسير الإشاري مربوط بالعمل، لا يحظى به إلا من جاهد نفسه وترقى في المقامات.

ويقول الذهبي (ت1398هـ): «أما التفسير الإشاري... فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سُحُب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية».[4]

على أن **التفسير الصوفي لا يستغرق الآيات القرآنية كلها** في الغالب، وإنما يقف عند بعض الآيات التي تجد وقعها على قلب الصوفي.[5]

والسمة الغالبة في التفسير الإشاري لدى الصوفية تتمثل فيما يأتي[6]:

- حمل النصوص على غير ظاهرها واتخاذ التأويل منهجا لفهم معاني القرآن، فأساس التصوف قائم على ثنائية الظاهر والباطن، إذا كان الظاهر يختص به التفسير فإن التأويل هو لفهم الباطن.

- أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة.

- أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته وفي طرائقه وفي غاياته، فضلا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل، فالعالم لابد أن يكون عاملا وعمله هو جهاده ورياضاته التي تؤدي إلى صقل إرادته وشحذ همته وتنقية مرآته الباطنية من كل شائبة، فالتفسير عموما ليس تفسيرا مباشرا، بل يسلك تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة.

---

[1] ينظر الرابط: https://www.aqlamalhind.com/?p=1527

[2] التفسير الإشاري للقرآن: مفهومه، أصوله، أقسامه، شروطه، فيصل محمود كامل، مجلة كلية القرآن الكريم، ع 6، س 1436هـ.

[3] مناهل العرفان في علوم القرآن 78/2.

[4] التفسير والمفسرون 261/2، بتصرف.

[5] التفسير الصوفي الاشاري للقرآن الكريم: 59، مجلة العوم الإنسانية والتطبيقية.

[6] التفسير (الإشاري) في الميزان، السكران التيمي. ينظر الرابط: https://majles.alukah.net/t36340/

- أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية.

- تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.

-ومع ما فيها من معاني تقبل بصعوبة، أو يلتمس لها وجها تحمل عليه بمشقة، إلا أن هناك معان مشكلة تصل في بعض الأحيان إلى الكفر والزندقة.

- كما لم تسلم هذه التفسيرات من الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتبع الدقة في تحري ثبوت الحديث، أومراعاة التعليق على الأسانيد،وكذلك لم تخل من فكر باطني.

وقد كان للأمير عبد القادر الجزائري اسهامات تفسيرية[1] في كتابه "المواقف"، والذي يعد بحق مدونة معرفية روحية تعكس التجربة الوجودية الذاتية التي عايشها الأمير[2]، كما تعكس نتيجة معرفية تمخضت عن مرحلة نضج صوفي[3]، سجل فيها شيئا من وقائعها ومستوياتها على شكل لطائف وخطرات وتأملات أمدته بها تلك التجربة، كما أن محتوى هذه المدونة هو تأويل لآيات قرآنية[4]، وشرح لأحاديث نبوية، مع مزجه بالفقه والتاريخ بأسلوب صوفي.

ويمكننا أن نتلمس آثار التفسير الإشاري على تحصيل المعنى عند الأمير عبد القادر حين يعلل علاقة الوقفة بالإشارة[5]، فقال: "قيل لي زد تسمية كتابك بالمواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، إذ القرآن من القرء، وهو يجمع ولما كان جامعا تجاذبته الحقائق الإلهية والكونية، فإنه ترجمة حقيقة الحقائق الجامعة للحقائق الإلهية والكونية، وترجمة أحكامها وأحكام تفاصيلها وترجمة المظهر المحمدي، وترجمة أحواله وأخلاقه، وترجمة أحوال متابعيه، فالقرآن من العلم الإلهي بمنزلة الإنسان من العالم، فإنه مجموع العالم، أعني الإنسان الكامل، فالإشارة بتلك الأعيان الخارجية المحسوسة والخيالية آيات وعلامات على ما في الكتاب العلم الإلهي".[6]

---

[1] وقد صرح الأمير على أنها إشارات، قال: "أقول من باب الإشارة لا من باب التفسير". كما في: المواقف 774/1(الموقف27)، وفي 560/2(الموقف246). وفي 774/2(الموقف257)، وفي 1142/3(الموقف349).

[2] حيث يبدأ في سرد وقائع حياته التعبدية، فيذكر ما وقع له ذات ليلة بالمسجد الحرام فيما كان يستغرقه الذكر والناس نيام. ينظر: الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 37.

[3] كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر، فايزة بوسلاح: 275، بتصرف.

[4] وفيه إضاءة وتفسير لتصريحات وكتابات بعض أقطاب أهل الفكر والمتصوفة من أمثال الغزالي لاسيما ابن عربي. ينظر: الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 244.

[5] التّأويل الصّوفي للقرآن عند الأمير عبد القادر في كتابه المواقف، زهرة بن يمينة: 281.

[6] المواقف1276/3(الموقف360).

وقد صرح الأمير عبد القادر في بعض المواقف[1] أنه أحس لأول مرة وهو يحل بالبقاع المقدسة أن نظرته إلى القرآن من حيث الفهم وإدراك المعاني قد طرأ عليها التغير وباتت تجد في ما توحي به دلالة المنزول اللفظية والتركيبية معاني أخرى غير المعاني التي عهدها لها إلى ذلك الحين، لقد أضحى يأنس إلى ذلك الصنف من التأويل القلبي.[2]

حيث قال: "**كنت مغرما بمطالعة كتب القوم منذ الصبا، غير سالك طريقهم**، فكنت في أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم **يقف -أي يقوم منها- شعري، وتنقبض منها نفسي**، مع إيماني بكلامهم على مرادهم؛ أنني عل يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة، وذلك كقول عبد القادر الجيلي: "معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأتينا ما لم تؤتوه"، وقول أبي الغيث جميل: "خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله"، وقول الشبلي لتلميذه: "أتشهد أني محمد رسول الله؟ فقال التلميذ: أشهد أنك محمد رسول الله"... ومثل هذا كثير عنهم. وكل ما قاله القائلون المأولون لكلامهم، لم تسكن إليه النفس، إلى أن منّ الله تعالى عليّ بالمجاورة بطيبة المباركة، فكنت يوما في الخلوة متوجها أذكر الله تعالى فأخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي، ثم ردني وأنا أقول: لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي، على طريق الإنشاء لا على طريق الحكاية، فعلمت أن هذه القولة من بقايا تلك الأخذة وأني كنت فانيا في رسول الله، ولم أكن في ذلك الوقت فلانا، وإنما كنت محمدا، وإلا لما صحّ لي قول ما قلت، إلا على وجه الحكاية عنه صلى الله عليه وسلم. وكذا وقع لي مرة أخرى في قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر"، وحينئذ تبين لي وجه ما قال هؤلاء السادة، أعني أن هذا أنموذج ومثال، لأني أشبه حالي بحالهم، حاشاهم ثم حاشاهم ثم حاشاهم، فإن مقامهم أعلى وأجل، وحالهم أتم وأكمل، وكذا قال الشيخ عبد القادر الجيلي: "كل من اجتمع هو وآخر في مقام من المقامات الكمالية، كان كل منهما عين الآخر، في ذلك المقام ومن عرف ما قلناه علم معنى قول الحلاج وغيره". وقبل أن تصدر مني هذه المقالة: كنت ثالث ليلة من رمضان متوجها للروضة الشريفة فحصل لي حال وبكاء فألقى الله تعالى في قلبي أنه عليه الصلاة والسلام يقول لي: "أبشر بفتح". فبعد ليلتين كنت أذكر الله تعالى فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتي وصارتا ذاتا واحدة...".[3]

المبحث1 : ارهاصات التصوف عند الأمير عبد القادر

الأمير عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى[4] علم من أعلام القرن التاسع عشر، عايش نهاية حكم الدايات للجزائر وحقبة الاحتلال الفرنسي لها، وحياته لا تشكل رافدا من روافد النشاط الإنساني الذي تسهل الإحاطة به، بل هو أشبه بمحيط يكل أمامه البصر، فهو رجل علم ورأي وصاحب فكر ومنهج، كما أنه رجل حرب وحكم وسياسة[5]، وهو فارس بارع، ومجاهد مظفر، ورجل دولة حصيف، وشاعر ملتزم، وصوفي متبحر، وفقيه ملم، واجتماعي نشيط.[6]

---

[1] المواقف1/46-47(الموقف13).

[2] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 99.

[3] المواقف1/46-47(الموقف13)، قوله تعالى: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا)[الكهف:76].

[4] ولد يوم الجمعة23 رجب1222هـ (الموافق لشهر ماي1807م) بالقيطنة بمعسكر، وتوفي ليلة السبت 19 رجب 1300هـ (الموافق لـ 24 ماي 1883م) بدمشق عن 76 عاما. ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: 103-104.

[5] الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، بركات محمد مراد: 31.

[6] مقدمة عبد العزيز سعود البابطين على كتاب الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع: 3.

وسأذكر هنا العوامل التي كانت سببا في سلوك الأمير منهج التصوف[1]:

1. البيئة التي عاش فيها (أسرته، وتنشئته الدينية): فقد نشأ في أسرة محافظة شديدة التدين يشهد لأفرادها بالتقوى والصلاح والعلم والزهد، فأبوه كان مرابطا وشيخ الطريقة القادرية في الجزائر[2] والذي سعى جهده في تنشئة ابنه تنشأة دينية علمية صوفية.[3]
2. اتصاله بشيوخ التصوف والأخذ عنهم: فرحلته إلى مكة لآداء فريضة الحج والتي دامت ثلاثة سنوات (1825-1828) أتاحت له لقاء شيخه الصوفي محمد الفاسي مقدم **الطريقة الشاذلية** الذي ساهم في تكوين شخصيته الصوفية، ثم توجه إلى دمشق حيث بقي فيها ثلاثة أشهر أخذ فيها **الطريقة النقشبندية** على الشيخ خالد النقشبندي البغدادي، ومنها رحل إلى بغداد حيث زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأخذ **الطريقة القادرية** على الشيخ محمود الكيلاني.[4]
3. تأثره بفكر شيخ المتصوفة محي الدين بن عربي الأندلسي (560-638هـ) وتشربه بأفكاره[5]، حيث كانت قراءات الأمير لـ: "فصوص الحكم" و "الفتوحات المكية" منطلقا لأخذه **بفكرة وحدة الوجود** في مسائل الخلق والمعرفة والنفس، فتجاوز بذلك في فهمه واقع الشكل إلى حقيقة المضمون وظاهر الشيء إلى باطنه شأن المتقدمين في التصوف.[6]

وقد لخص بعض الباحثين مراحل التصوف لديه ضمن أربع مراحل[7]:

- مرحلة التلقين والتعليم والمطالعة(1222-1246هـ=1807-1830م)، وفيها تعرف على حقيقة التصوف.
- مرحلة الفتوة والجهاد (1246-1264هـ=1830-1848م)، وفيها برزت قدراته الجهادية والحربية عند الاحتلال.
- مرحلة التأمل والتفكر (1265-1269هـ=1848-1852م)، وفيها كانت الخلوة[8] والانعزال والصبر، عندما كان أسيرا في سجن (امبواز).[9]
- مرحلة النضج والتعبير (1269-1300هـ =1853-1883م)، وفيها كانت مجاهدة النفس والتعمق في علوم التصوف والتدريس والإنتاج الفكري والأدبي، عندما كان في الشام.

---

[1] الصوفية هم أولئك الذين عليهم "أن يكونوا في جميع أحوالهم وتصرفاتهم حاضرين مع الله تعالى". ينظر: المواقف 46/1(الموقف12)، والتصوف عند الأمير عبد القادر هو: "جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية، لا لشيء آخر غير سبيل الله". ينظر: المواقف 141/1(الموقف71).

[2] الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع: 11.

[3] الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن سبع: 152.

[4] الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، نزار أباظة: 10.

[5] وقد نوه بمكانته عنده، ونعته بأوصاف كثيرة في أكثر من موقف، ينظر مثلا: المواقف 66/1(الموقف22)، وفي 872/1(الموقف285) عند حديثه عن القطب قال: "والشيخ الأكبر محيي الدين منهم وهو خاتمهم فليس بعده وارث محمدي".

[6] عصر الأمير عبد القار الجزائري، ناصر الدين سعيدوني: 188، بتصرف.

[7] كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر، فايزة بوسلاح: 276، نقلا عن: البطولة الإنسان والتصوف تنويعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبدالقادر مقاربة بنيوية تكويني، نور الدين صدار: 380-381، وينظر: عصر الأمير عبد القادر الجزائري: 155، 179، والأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 59.

[8] وقد أشار الأمير إلى هذه المرحلة في كتابه: المواقف 471/1(الموقف211).

[9] التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري، جواد مرابط: 28.

وحقيقة التصوف عند الأمير عبد القادر تدرك من خلال التمكن من علوم المتصوفة وسلوك طريق القوم[1]، حيث قال: "إن كل من يسلك طريق القوم ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه، لا يصح له إخلاص ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق واختفاء وأكثرهم تدقيقا وبحثا في دسائس النفوس وخفايا العيوب، فإذا رحمه الله تعالى بمعرفة نفسه صحّ له الإخلاص".[2]

كما أن جمع الأمير عبد القادر بين السياسة والجهاد عمّق وظائفه الروحية والقلبية[3]، فالتصوف عنده هو رؤية معرفية وطريق سلوكي ينتهجه الإنسان العاقل لتحقيق حضارته، وتبرز النزعة الصوفية للأمير عبد القادر من خلال حرصه على التحلي بالفضائل وترك الرذائل والإخلاص في العمل مبرزا أن الجهاد مقرونا بتزكية النفس الذي يحصل بموجبه الإخلاص في العمل، حيث يؤكد في أحد المواقف[4] على أهمية تعلم الطريقة الصوفية بشقيها العلمي والعملي[5]، ويؤكد مقولة "من عرف نفسه فقد عرف ربه" ودور الربط بين العلم والتطبيق لتغيير الذات.[6]

هذا المنهج الروحي الذي سلكه الأمير عبد القادر صرح بأنه منهج الخاصة وليس العامة، فلا يستطيع سلوكه إلا من أوتي مواهب وملكات روحية معينة أفاض في توضيحها وتفسيرها أساتذة التصوف من قبله كالإمام القشيري والغزالي، ورأيا أنها مجاهدات لا يستطيعها إلا من رزق التأييد الإلهي بعد إخلاصه في صدق التوجه وقطعه كل العلائق.[7]

ولم يَدّعِ الأمير عبد القادر في كتابه هذا ابتكار أشياء جديدة؛ بل أدرك أنه قام بعملية اجتهاد لفهم الدين استنادا للشريعة، كما فعل المتصوفة التابعين للمذهب السني من قبله[8]، فقال: "وأهل طريقنا ما ادعوا الإتيان بشيء في الدين جديد؛ وإنما ادعوا **الفهم الجديد** في الدين التليد، وساعدهم الخبر المروي أنه لا يكمل فقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة".[9]

وقد حرص الأمير عبد القادر في فاتحة كتابه "المواقف" على أن يُفْهَمَ مراده بوضوح حيث حذر من رميه بحلول أو اتحاد، أو تأويل كلامه فقال: "وإياكم ثم إياك أن تتوهم وتتخيل فيما أذكره في هذا الموقف تشبيها عقليا أو تمثيلا وحلولا و اتحادا أو سريانا أو امتزاجا أو ارتساما أو اتصالا أو انفصالا أو مقابلة أو مقارنة أو تقديما أو تأخيرا أو قبلية أو بعدية...".[10]

---

[1] كتـابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر، فايزة بوسلاح: 276.

[2] المواقف 35/1 (الموقف4).

[3] كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر، فايزة بوسلاح: 277.

[4] المواقف 34/1 (الموقف4).

[5] كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر، فايزة بوسلاح: 278، بتصرف.

[6] أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر، هواري حمادي: 109.

[7] الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، بركات محمد مراد: 61.

[8] الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس: 22.

[9] المواقف 26/1 (الموقف1).

[10] المواقف568/2.

المبحث 2: التعريف بكتـابه "المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد"[1]:

لقد تمكنت قدم الأمير عبد القادر من علم التصوف فغدا أحد أعلامه في القرن الثالث عشر -الهجري- وله فيه مشرب ومنهج انتهى **به إلى تأليف موسوعته الجامعة كتاب "المواقف" الذي ينبئ عن إحاطة شاملة في علوم كثيرة إلى جانب المنهج الصوفي.**[2]

وقد ألفه في الفترة الأخيرة والخصبة في حياته خلال إقامته بدمشق (1272-1300هـ)[3]، ويتميز كتابه "المواقف" بتعدد الأزمان والأماكن التي كان يرتبط بها الكشف والإلهام (الشام، مكة، المدينة)، بحسب الواردات الإلهية التي كانت ترد على الأمير.

ولعل السبب الرئيس في تأليف الأمير عبد القادر لكتـابه "المواقف" هو تلقيه لعدد من الأسئلة والردود والاستفسارات من بعض علماء الشام حول ما استشكل عليهم من مسائل[4] حول "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم" لابن عربي[5]، فهو حصيلة ثرية لحوارات الأمير عبد القادر وتأملاته مع ثلاثة من كبار علماء عصره[6]، حيث كان يلقي مواقفه تلك في مجالسه الخاصة، ثم اقترح عليه الشيخ عبد الرزاق البيطار أن يدون ذلك ويسجله[7]، فكان ذلك نواة الكتاب الذي عرف فيما بعد باسم "المواقف"[8]، الذي حاول الأمير من خلاله بث آرائه الإصلاحية، كما أودع فيه زبدة من تجاربه، وبين فيه بوضوح مذهبه الروحي والصوفي[9] والفلسفي في الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها.[10]

و"المواقف" ليس فقط كعنوان، بل الموقف كمفهوم صوفي مهم من الناحية الإجرائية، وقد سبقه إلى استخدامه عدد من المتصوفة أبرزهم: محمد بن عبد الجبار النفري (-354هـ =965م)، ويتحدث ابن عربي (-638هـ =1240م) في "الفتوحات" عن الموقف والوقفة باعتبارهما لحظة من اللحظات الصوفية المتميزة.[11]

فالموقف: هو حالة تظهر للعارف تتجلى له فيها الكشوفات[12]، والتي جعلته في مقام الواقف الذي يرقى إلى عالم الملكوت.[13]

---

[1] ويعرف أيضا باسم: "**المواقف الروحية والفيوضات السبوحية**". ينظر: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، نزار أباظة: 29.

[2] الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، نزار أباظة: 7.

[3] الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع: 57، والأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محد مراد: 34.

[4] من الشواهد على ذلك قوله:" سألني بعض الإخوان عن...". ينظر: المواقف 881/2(الموقف288) وما بعدها، و 1152/3(الموقف352)، و1195/3(الموقف356)، و1278/3(الموقف361)، و 1354/3(الموقف368).

[5] كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر، فايزة بوسلاح: 279، وينظر: الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع: 57

[6] وهم: الشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ محمد الخان، والشيخ محمد الطنطاوي. ينظر: في صحبة الأميرين، رويش أحمد: 195.

[7] الأمير عبد القادر العالم والمجاهد، نزار أباظة: 29.

[8] ينظر: التصوف و الأمير عبد القادر، جواد مرابط: 23، والأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، نزار أباظة : 29، و الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات مراد: 51.

[9] فافتتح كتابه بقوله: هذه نفثات روحية وإلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار من وراء طور العقل وظواهر النقول خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في كتاب".

[10] ينظر: الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع: 223، بتصرف.

[11] الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس: 65-66، بتصرف.

[12] التفسير (الإشاري) في الميزان، السكران التميمي. ينظر الرابط: https://majles.alukah.net/t36340/

[13] الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس: 105.

وكتاب المواقف هو تمرس بالفحوى يقوم على أساس من **التمثل الفكري والروحي الاستلهامي**، فهو من **جهة تفسير للقرآن**، وهو من جهة أخرى تواجد وتنويه وشغف ببهجة الإلهام وما ينشب في النفس من رضى، وهو صعيد من **الخواطر التي سجلتها القريحة** في تعاطيها القلبي مع آي الذكر الحكيم والسنة الشريفة وأقوال السلف[1]، فكتـاب المواقف تفسير للقرآن وشرح للسنة[2] من منظور توحيدي الهامي، وشرح لعقيدة أهل العرفان ولكلام ابن عربي[3] من منطلق شرعي سني.[4]

والأمير يتبع ثقافته أصلا؛ لأن لكل ما يقولون دليلا من الكتاب والسنة وأن أولى طرق الدراسة عندهم "أنهم تثوروا قاموس **القرآن والسنة لأنه بستانهم الذي فيه يتنزهون**"[5]. قال: "... واعلم أن كل ما تقوله الطائفة العلية له دليل من **الكتـاب والسنة**، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، لأن **طريقتهم مؤسسة على الكتـاب والسنة**، غير أن من علومهم أمورا وجدانيات لا يمكن أن يقام عليها دليل، ولا تحد بحد...".[6]

وقال أيضا: "طلبت من الحق تعالى يجعل لي نورا أكشف به حتى أعرف ما آتي وما أذر، فقال لي في الحين: ها هو ذا الكتاب والسنة، فانتبهت حينئذ لقوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) [المائدة: 16]، فعرفت أنه لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على **الكتـاب والسنة**؛ لأنه تعالى ضمن النجاة في العمل بهما، وما ضمنهما في العمل بالكشف، ولذا قال أستاذنا أبو الحسن الشاذلي: إنه يرد عليّ الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين وهما: **الكتـاب والسنة**، أو كما قال، وأن طوق الشريعة لا يزول عن رقبة عارف ولا مكاشفة ما دام بدار التكليف".[7]

وقد أرسى الأمير عبد القادر قاعدته المنهجية في كتابه "المواقف" على مادة تفسيرية قرآنية بالأساس، بحيث جعل همه أن يستفرغ ما يسعفه به انقداح زند الفكر والقلب في خطرات ظل النص القرآني هو مادة انطلاقها ومضمار استكشافها وموضوع مطارحتها. وقد تميزت المواقف بمستواها الثقافي والمعرفي الشمولي. فما إن يشرع الأمير في القول حول موقف قرآني ما أو نص حديثي نبوي شريف أو قدسي أو أثر من آثار الصالحين، حتى تتبدى أفكاره ظاهرة للعيان؛ بل إن رؤيته لتلوح جلية، ونظرته لتسفر واضحة في المواقف جميعا، وما ذلك إلا لأن أرضية الاطلاع التي يقف عليها كانت صلبة، بحيث أمكنه أن يدلي باجتهاداته وبُدُواته حول ما يطرق من

---

[1] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 95، بتصرف.

[2] وقد كان حضور نصوص الأحاديث النبوية واضحا في كتاب المواقف، حيث أفرد العديد من المواقف لذلك، ويصدر موقفه بقوله مثلا: "ورد في الصحاح"، أو "ورد في صحيح البخاري"، أو "روى مسلم في صحيحه"، أو "ورد في الحديث" أو "ورد في بعض الأخبار".

من الشواهد على ذلك: المواقف 42/1 (الموقف9)، و65/1 (الموقف 22)، و 101/1 (الموقف48)، و 154/1 (الموقف79)، 155/1 (الموقف80)، و252/1 (الموقف116)، و 276/1 (الموقف126)، و 357/1 (الموقف159)، و 847/2 (الموقف280)، و 1159/3 (الموقف354).

[3] فالأمير رغم تبعيته المعلنة لابن عربي في الرؤية الإنسانية والوجودية؛ إلا أنه لم ينخرط في التأويل الإشاري كلية، ولم ينجرف وراء تبني سيميائية أهل العرفان مطلقا كما كان شأن أستاذه.

[4] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 251.

[5] المواقف419/2 (الموقف231).

[6] المواقف 519/2 (الموقف231).

[7] المواقف61/1-62 (الموقف20).

موضوعات، انطلاقا من خلفية معرفية حاز بها آراء واجتهادات من سبقوه، وتمكن من أن يكون قارئا لتلك الآراء مقوما ومضيفا في الغالب.[1]

وكتاب "المواقف" مليء بالأبواب التي اقتبسها من "الفتوحات"[2]، ويلاحظ أن المادة العلمية النصية للمواقف تتسم بمستوى عقلي لا يخرج في عمومه عن الإطار الدلالي المتزن.[3]

وقد باشر الأمير القراءة القلبية للقرآن الكريم مسجلا بحضور عقلي، مما أضفى على جهده التأويلي طابع التقويم والتصحيف، ولم يأت مادة للتواجد والتخاطر اللاشعوري المحض، فالأمير انساق غداة نزوله بأرض الحجاز إلى التحول الروحي من خلال تعاط فكري ونظري نوعي فاعل به المنصوص من القرآن والسنة وتراث أهل العرفان[4]، بل لقد أضحت القراءة نفسها نشاطا يتجاوز دائرة المحروف والمنصوص عليه، إذ باتت النفس تستجلي أبجدية الكون كمدلولات وإحالات قدسية، فالتحول في الظاهر كان تأويلا نصيا للمتن القرآني.[5]

وفي كتابه "المواقف" إشارات عديدة تدل على ذلك التحول الذي اعترى الأمير بعد طور الاعتكاف والمرابطة الروحية، فيقرر تباين مقاصد المتأولين وتنوعها واختلاف أصنافها، وكان يحرص على أن يظل على يقظة تامة واتزان ثابت في تعاطيه مع النصوص والآثار.[6]

وقد تمرس الأمير بالقرآن قراءة واستيعابا من خلال الفهم الذي انتهى إليه في مدونات التفسير السني المتواتر، ثم وافاه الفتح فباتت حقائق أخرى تتكشف له في النص القرآني، ولم ينكر الأمير من نفسه ذلك التحول الذي بات به عقله الباطن يضفي على النصوص القد سية قيما أخرى غير ما عهد واعتاد، وربما كانت تلك الحال الرخية التي أ ضحى يتوا صل بها مع القرآن ويفتق كوامنه الربانية، هي الدافع له على أن يتساءل ويتفكر في قضايا فهم الخطاب القرآني وفي أوجه قراءته وتلقيه[7]. ومن هنا رأيناه يقرر عبثية من ينشد الحقائق القرآنية وكوب مطية العقل والنظر المنطقي وحده.[8]

على أننا وجدنا الأمير ينعطف إلى التمييز بين منحيين من النظر العقلي يقعان للإن سان: منحى مقبول ولا ضير فيه، وآخر منهي عنه مذموم[9]، حيث قال: "ليس من علم الفكر المذموم النظر فيما يتعلق بتوحيد الله ودقائقه، إنما المذموم هو الكلام في ماهية الذات".[10]

ويمكن تلخيص منهج الأمير عبد القادر من خلال المواقف كالآتي[11]:

---

[1] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 246، بتصرف.

[2] الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 34.

[3] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 244، بتصرف.

[4] المرجع نفسه: 107، بتصرف.

[5] المرجع نفسه: 109.

[6] المرجع نفسه: 110، بتصرف.

[7] المرجع نفسه: 111، بتصرف.

[8] المرجع نفسه: 112.

[9] المرجع نفسه: 117.

[10] المواقف3/1237-1238.

[11] الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس: 119.

- عرض التفسير الظاهري للنص أو الآية القرآنية[1]
- عرض الآراء الصوفية السابقة له كابن عربي وغيره[2]
- وفي النهاية عرض موقفه الشخصي أو رؤيته للمعنى[3]

وقد ضم كتاب "المواقف" **اثنين وسبعين وثلاثمائة موقفا**[4]، وجاء في ثلاثة مجلدات، ويشتمل على 372 موقفا، في 1416 صفحة (ترقيمها متتابع من المجلد1 إلى 3)

- المجلد1 ، ينتهي عند الموقف 215 ، وعند الصفحة 480
- المجلد 2 ، يبدأ بالموقف 216 ، وينتهي عند الموقف 298 ، في 962 صفحة ، ويشتمل على (83موقفا)
- المجلد 3 ، يبدأ بالموقف 299 ، وينتهي عند الموقف 372 ، في 1403 صفحة ، ويشتمل على (74موقفا)

المبحث 3: معالم التفسير الصوفي عند الأمير عبد القادر من خلال كتابه "مواقف"

اشتغل الأمير عبد القادر على تأويل الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، معتمدا في ذلك على الإلهام القلبي كطريق للكشف عن الأسرار القرآنية وكتابه المواقف يشهد على ذلك.[5]

ومن خلال كتابه "المواقف" نستشف تفسيرا إشاريا للآيات والأحاديث يتماشى واتجاهه الصوفي، فالقارئ المتأمّل لهذا الكتاب يجد فيه من تأويلات تفسيرية، سلك فيها مسلك الصوفية في إدراك الإشارات التي يراها الصوفي خلف آيات القرآن، كما سنبين ببعض معالمه لاحقا.

والقارئ لكتاب "المواقف" يقف على دراسة عميقة ومتأملة في القرآن الكريم، ومعايشة لمصدري هذا الدين من القرآن والسنة، فكانت لديه أسبابه القرآنية والتجريبية الذوقية واللغوية، فضلا عن الإلهامية الصوفية[6]، فضلا عن الإلمام الكبير الذي طفق الأمير يعرب عنه وهو يستعرض المذاهب والنحل التي تنازعت حقل التأويل على مدى أعصر من حضارة المسلمين.[7]

والأمير عبد القادر يقول بضرورة التجديد في فهم آيات القرآن[8]، وينفي التقليد في الفهم[9]، وفي كل هذا يؤكد على التجديد المستمر في الفهم، حيث قال: "وأهل طريقتنا ما ادعوا الاتيان بشيء في الدين جديد، وإنما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد، وساعدهم الخبر المروي: أنه لا يكمل فقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة".[10]

---

[1] ينظر مثلا: المواقف1/73(الموقف28)، الآية: 110 من سورة الكهف.

[2] من الشواهد على ذلك: 1/63(الموقف21)، و 1/114(الموقف56)، و 1/115(الموقف57)، و 1/278(الموقف126)، و1/279(الموقف127)، و2/373(الموقف166).

[3] ينظر مثلا: المواقف1/73(الموقف28)، حيث قال: "عامة المفسرين.. وعندي.."، و في 1/279(الموقف127).

[4] ولا يسع المقام لتتبع اسهاماته كلها في تلك المواقف.

[5] جدلية التصوف والسياسة عند الأمير عبد القادر، مريم بغدود، 129.

[6] الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 44، بتصرف.

[7] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 100، بتصرف.

[8] ينظر: الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 43، بتصرف

[9] الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس: 117.

[10] المواقف1/26(الموقف1)

وقد سعى للوصول إلى أوجه جديدة لإعجاز القرآن، وهو يرى أن لكل قادر على النظر والفهم والتذوق والتعبير أن ينظر في القرآن ويعبر دون مصادرة، ما دام يستند على قدر معقول من الاستدلال، لكن عليه ألا يقطع بأن رأيه في الآية هو الرأي الوحيد والأخير[1]، فقال على أن "القوم ما أبطلوا الظواهر ولا قالوا ليس المراد من الآية إلا ما فهمنا، بل أقروا الظواهر على ما يعطيه ظاهرها، وقالوا: فهمنا شيئا زائدا على ما يعطيه ظاهرها... ولهذا ترى كلما جاء أحد ممن فتح الله بصيرته ونوّر سريرته، يستخرج من الآية والحديث معنى ما اهتدى إليه من قبله، وهكذا إلى قيام الساعة".[2]

كما يستشهد الأمير عبد القادر في كتابه "المواقف" بالقرآن الكريم من خلال ربطه الآيات بعضها ببعض[3]، وذكر المناسبات بين بعض الآي[4]، مع استحضاره للأحاديث النبوية[5] والقدسية[6] والشواهد الإعرابية[7] والشواهد الشعرية[8] والأمثال والحكم[9]، وربط معنى الآية بها، وقد يستعين أيضا بالإسرائيليات.[10]

---

[1] ينظر: الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 43، نقلا عن: عبد القادر وثقافته لمحمد السيد علي الوزيري: 84.

[2] المواقف37/1.

[3] المواقف489/2(الموقف221) حيث ساق الآيات التي اشتملت على معنى الرجوع إلى الله، ثم قال: "اعلم أن مصير الأمور كلها لله ورجوعها إليه..". حيث انتقل من معنى الموت الظاهري إلى الموت المعنوي الذي يكون معاينة رؤية الله بعد الفناء الأبدي. ينظر: التّأويل الصّوفي للقرآن عند الأمير عبد القادر في كتابه المواقف، زهرة بن يمينة: 277.

[4] من الشواهد على ذلك: المواقف92/1(الموقف 42)، الآية 34-35 من سورة ص.

[5] من الشواهد على ذلك: المواقف 94/1(الموقف43)، و 281/1(الموقف128)، و 286/1(الموقف130)، و 523/2(الموقف233).

[6] استدلاله على فضل البسملة بالحديث القدسي "يا إسرافيل.. من قرأ بسم الله". المواقف84/1(الموقف38)، و 134/1(الموقف67).

[7] من الشواهد على ذلك: المواقف67/1(الموقف23)، و98/1(الموقف46) قال عند الآية 26 من سورة الرحمن: "الجار والمجرور متعلق بمحذوف، أي استقر عليها أي الأرض"، وفي المواقف284/1(الموقف129) عند الآية 34 من سورة إبراهيم، قال: "فمن للبيان لا للتبعيض"، وفي 801/2 (الموقف266) عند الآية 96 من سورة الصافات، قال: على أن "ما" نافية، وفي 1279/3(الموقف362) عند الآية 29 من سورة الرحمن.

[8] من الشواهد على ذلك: المواقف105/1(الموقف51)، و138/1(الموقف69).

[9] من الشواهد على ذلك: المواقف57/1(موقف18)، و70/1(الموقف25).

[10] من الشواهد على ذلك: المواقف 1035/3(الموقف318)، والمواقف39/1(الموقف8) عند قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، قال: أي ليعرفون، بإجماع المحققين من أهل الله تعالى، **ويؤيده الخبر الوارد في بعض الكتب المنزلة**: "كنت كنزا مخفيا لم أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا وتعّرفتُ إليهم، فبي عرفوني".. وقد صحح هذا الخبر بالكشف في المواقف 1370/3(الموقف370).

وقدلذكر الحديث وينسبه إلى من رواه من الصحابة أو من خر جه من أصحاب المصنفات الحديثية[1]، ويبين درجته[2]، وقد يصححه بالكشف رغم ضعفه.[3]

ومن معالم التفسير الصوفي عنده:

- **المعلم الأول: استخدامه لمصطلحات صوفية تحمل معان وجدانية، كـ:** التجلي[4]، والمكاشفة[5]، والمشاهدة[6]، والجذب، والقطب[7]، والعارف، والمريد[8]، والشيخ[9]، والسالك[10]، والطريق[11]... ومن الشواهد على ذلك:

- قال عند إيراده لقوله تعالى: (فتمثل لها بشرا سويا) [مريم:6]: ورد في صحيح مسلم: "تجلى الحق تعالى لأهل المحشر، وتحوله في الصور"، وفي الصحيح المتواتر: أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل في صورة دحية ويعرفه أنه جبريل، والصحابة يجزمون أنه دحية. وهذا **هو التجلي** الذي أنكره علماء الرسوم المحجوبون على العارفين ورموهم بالحلول والاتحاد، ولو أنصفوا ما أنكروا ما جهلوا؛

---

[1] من الشواهد على ذلك: المواقف 773/2 (الموقف256)، عند قوله تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) [النساء:16] قال: "بشر تعالى عباده المؤمنين أنه أوجب على نفسه تفضلا وامتنانا، فإنه عبّر (بـ: على) وهي من أدوات الوجوب، قبوله توبة المؤمنين الذين يعملون السوء ويعصون ربهم بجهالة وسفاهة واغترار وأمان وحماقة وغلبة شهوة... مع إيمانهم بحرمة السوء الذي عملوه، (ثم يتوبون من قريب)، أي ما داموا لم تنكشف لهم أحوال الآخرة، ولم يشاهدوا ملك الموت، ولو في حالة عجزهم عن النطق، فتقبل توبتهم بقلوبهم. **أخرج ابن جرير عن ابن عباس** في قوله تعالى: (من قريب): ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت. **وأخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة**: "الدنيا كلها قريب"، **وأخرج ابن أبي شيبة** عنه صلى الله عليه وسلم "أن إبليس قال: وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام في روح. قال: وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام في روح".

[2] من الشواهد على ذلك: المواقف1035/3 (الموقف318)، قال: قال جلال الدين السيوطي: **خرجه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود وأنس بلفظ..** وقال **في إسناد كل منهما: ضعيف.** ثم روى سنده عن وهب بن منبه قال: قرأت التوراة، فذكر نحو... **وأخرج الديلمي من حديث أبي ذر**: "لعن الله فقيرا تواضع لغني من أجل المال. من فعل ذلك منهم فقد ذهب دينه". **وأورد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات فلم يصب.**

[3] من الشواهد على ذلك: المواقف1370/3 (الموقف370) قال: "كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني"، قال: "هذا حديث **صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد، قد أجمع المحققون على صحته** وذكره غير واحد في مصنفاته".

[4] التجلي بالأسماء الإلهية يكون لكل عارف على قدر مرتبته. ينظر: قاموس المصطلحات الصوفية: 49.

من الشواهد على ذلك: المواقف24/1 (الموقف9) قال: " أن الله يتجلى لأهل الموقف"، و129/1 (الموقف63)، وفي 1169/3 نبه إلى أقسام التجليات: فعلي، وأسمائي، صفاتي، وذاتي.

[5] المكاشفة هي مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق. ينظر: قاموس المصطلحات الصوفية: 86.

من الشواهد على ذلك: المواقف257/1-258 (الموقف118) في تفسير الآية 24 من سورة الزخرف، قال: "اعلم أن الهدى أنواع... والأعظم هدي هو الذي حصلت له الهداية **بالكشف** والعيان".

[6] المشاهدة هي مطالعة القلب للجمال القدسي، وهي صفة للعبد. وهي تجلي الحقائق بلا حجاب. ينظر: قاموس المصطلحات الصوفية: 86.

[7] من الشواهد على ذلك: المواقف86/1 (الموقف 22)، و115/1 (الموقف57)، و1145/3-1146 (الموقف350).

[8] المريد هو الذي عرف جلال الربوبية وما لها من الحقوق في مرتبة الألوهية على كل مخلوق. ينظر: قاموس المصطلحات الصوفية: 87.

[9] من الشواهد على ذلك: المواقف59/1 (الموقف19)، و1381/3 (الموقف371)، و 338/1 (الموقف151).

[10] من الشواهد على ذلك: المواقف430/1 (موقف197)، و 407/1 (الموقف185).

[11] وهي مراحل يعلو بعضها بعضا مركبة من أحوال ومقامات كلما قطع السالك بعضها تطلع إلى ما يعلوها من مقامات وأحوال أخرى. ينظر: الأمير عبدالقادر المجاهد الصوفي، وكات محمد مراد: 62.

من الشواهد على ذلك: المواقف430/1 (موقف197)

لأن الحكم على الشيء تصويبا وتزييفا، فرع من تصوره. وهم ما تصوّروا **التجلي والشهود**، على ما هو عند القوم، فما ردّ علماء الرسوم إلا باطلهم الذي تصوروه في أنفسهم، تصوروا باطلا وردّوا باطلا...[1]

- وقال شارحا قول ابن عربي (في الباب الثالث والسبعين): "يريد أن من أولياء الله **الأقطاب** بل هم أعلا الأولياء وخاصة الأصفياء، وإنما سموا بالأقطاب لأن فلك العالم أعلاه وأسفله إنما يدور على **قطب** زمانه".[2]

- قال عند إيراده لقوله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير)[الروم:50] قال: "المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن المرادون، أمر تعالى أن لا يصدق كل مدع ولا يتبع كل ناعق، ولكن ينظر إلى وجود أثر الرحمة وعدمه، فتصدق الدعوى أو تكذب، فمن ادعى أن الحق تعالى اختصه برحمة من عنده وجعله من أهل حضرته، ينظر في دعواه، فإن ظهر عليه أثر الرحمة، وهو إدراك العلوم الربانية الوهبية والأسرار العرفانية الغيبية، كما قال في الخضر عليه السلام: (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)[الكهف:66]، وقال نوح عليه السلام: (وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم)[هود:28]، فذلك الصادق في دعواه، فليلبه من ناداه.[3]

- **المعلم الثاني: كثرة نقوله واستشهاداته عن أئمة الصوفية**، كمحي الدين ابن عربي[4] وأبو الحسن الشاذلي[5]، والجنيد البغدادي[6]، وعبد القادر الجيلاني[7]، وأحمد الرفاعي[8]، والحلاج[9] والتي هي دليل على منطلقاته[10]، ومن الشواهد على ذلك:

- قوله عند إيراده لقوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام...)[المائدة:17]: فعرفت أنه لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة؛ لأنه تعالى ضمن النجاة في العمل بهما، وما ضمنهما في العمل بالكشف، ولذا قال **أستاذنا أبو الحسن الشاذلي**: أنه يرد عليّ الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين، وهما الكتاب والسنة.

- **المعلم الثالث: ردوده على بعض الفرق**، ومن الشواهد على ذلك، وهي كثيرة:

- قال عند بيانه لطبيعة الذنب الذي حددته الآية (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)[محمد:19]: "الذنب هنا ما يخطر من معرفة الذات والحقيقة التي هي مجهولة في الدارين، **فلا يلتبس عليك الأمر فتنهى عن قراءة عقائد الصوفية وغيرهم من أهل السنة**، بل انظر في عقائد سائر الخلق وابحث عن منزع كل اعتقاد لتعرف مستنده ".[11]

---

[1] الموافقات 126/1 (الموقف 63).

[2] من الشواهد على ذلك: الموافقات 871/2 (الموقف 285).

[3] الموافقات /323 (الموقف 143) عند بيانه لشروط وعلامات العارف.

[4] من الشواهد على ذلك: الموافقات 397/1 (الموقف 178)، و 467/1، و 512/2 (الموقف 229).

[5] من الشواهد على ذلك: الموافقات 61/1-62 (الموقف 20).

[6] الموافقات 466/1.

[7] الموافقات 1238/3.

[8] من الشواهد على ذلك: الموافقات 355/1 (الموقف 158).

[9] من الشواهد على ذلك: الموافقات 350/1 (الموقف 155).

[10] من الشواهد على ذلك: الموافقات 63/1 (الموقف 21)، و 113/1 (الموقف 56)، و 278/1 (الموقف 126)، و 279/1 (الموقف 127)، و 373/2 (166)

[11] الموافقات 1238/3.

- قال: زعمت **الأشاعرة** أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع الكلام النفسي القائم بالذات العلية، فما أدري كيف تصوروا هذا؟ والكلام النفسي عندهم حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ، فلو سمع موسى المعنى النفسي للزم أنه سمع ما لا بداية له ولا نهاية، وقد روى النسائي في سننه أنه تعالى قال لموسى: "إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان".[1]

- قال: مما غلط فيه **المتكلمون** قولهم بعد إثبات الصفات الثبوتية والسلبية التي أثبتوها لله تعالى "ويستحيل عليه تعالى أضدادها"، مع أن الأمر ليس كذلك، فإن صفات الله تعالى لا ضد لها؛ لأن الضدين إنما يتواردان حيث لا يخلو المحل عن أحدهما، وإنما ذلك في الحادث القابل للكمال والنقص، وأما الحق تعالى فإن ذاته لا تقبل النقص، فصفات الكمال الثابتة له لا ضد لها، فعلمه تعالى لا ضد له،وكذا قدرته وإرادته وكلامه وسمعه وبصره ونحوها.[2]

والصوفية الذين هم سادات طوائف المسلمين لا ينفون الصفات التي أثبتها **الأشاعرة** كما نفاها **المعتزلة والحكماء**، ولا يثبتونها كما أثبتها **الأشاعرة**، فإن قول **الأشاعرة** في صفات المعاني أنها موجودة في نفسها، زائدة قائمة بالذات، بحيث لو كشف لنا لنا رأينا قيامها بالذات...

- قال: فليس العبد فاعلا خالقا لأفعاله الاختيارية، كما ينسب إلى **المعتزلي**، ولا أن العبد فاعل مجبور، كما يقول **الجبري**، ولا أن له جزأ اختياريا به يسمى العبد فاعلا، كما يقول **الماتريدي**، ولا أن العبد له كسب، بمعنى وقوع الفعل بإرادته واختياره، لا خلق ولا جبر، ولكن أمر بين أمرين، كما يقوله **الأشعري**...[3]

- وقال عند قوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)[محمد:19]: فالحق تعالى إنما أمر عباده بمعرفة مرتبة ذاته وهي الألوهية، وما أمرهم بمعرفة ذاته التي هي الغيب المطلق والوجوب البحت، بل نهاهم .عن طلب ذلك، قال تعالى: (ويحذركم الله نفسه) ، وقال صلى الله عليه وسلم: "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته" فما أمر الله تعالى رسوله إلا بمعرفة الألوهية التي هي مرتبة الذات وظهور الصفات...**والمتكلمون** في التوحيد العقلي خلطوا الأمر وحيروا الفكر...فكلامهم إن كان في الذات البحت، فالذات لا كلام فيها بنفي ولا إثبات، وإن كان في مرتبة الذات، وهي الألوهية فهي لاحجر عليها ولا حصر ولا تقييد لها...وكل من حصر الحق في معتقد ونفاه عما عداه فهو جاهل بالله، كائنا من كان، وبالخصوص إذا ظن التقييد اطلاقا **كالمتكلمين**، فلا ضد للحق تعالى فينافيه ويناويه، ولا مثل له فيشبهه ويدانيه من حيث الذات...[4]

- قال: والحكمة في وروده باللفظ الذي ورد به، هو قبوله لتأويل المتأولين، بخلاف ما لو صدعهم بصريح الحق ونفس الأمر فإنهم يعجزون عن تأويله، فلا يقبلونه،وكم من حديث ردّه **علماء الرسوم** لعجزهم عن تأويله، وعندهم من علامة وضع الحديث وروده بصفة تخالف العقل ولا يقبل التأويل حتى يجمع بين مقتضى العقل ومقتضى الحديث، وهؤلاء جعلوا عقولهم أصلا يرجع إليه الكتاب والسنة، وهذا آخر شيء على المتكلمين في المتشابهات من الآيات وأحاديث الصفات، نعوذ بالله من الجهل الذي صورته صورة علم، ولو كان مَن هذه سبيله عامِّيًا يؤمن بالمتشابهات على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم كالسلف لكان خيرا له.

---

[1] المواقف 462/1.

[2] المواقف 468/1.

[3] المواقف 36/1 (الموقف4).

[4] المواقف 81/1 (الموقف35).

وأول من وسّع باب التأويل أبو الحسن الأشعري، ولكنه ما اتخذه دِينا وعقيدة، وإنما ألجأه إلى ذلك أهل الأهواء والبدع؛ فإنهم يستدلون لبدعتهم من الكتاب والسنة، فكلّمهم بلسانهم ورد عليهم بسهامهم، ولذا قال في كتابه "الإبانة"، وهو آخر مؤلفاته: أن مذهبه في المتشابهات مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل.[1]

- وقال: ... ثم يشكون في جزمهم، ثم يجزمون بشكهم، يشكون في شكهم... وهكذا حالهم دائما بين إقبال وإدبار، وهذ حالة الحائر الضال، وقد نقل عن إمام الحرمين زعيم المتكلمين أنه قال: "قرأت خمسين ألفا في خمسين ألف، وخليت أهل الإسلام وإسلامهم وعلومهم، وخضت في الذي نهى الشرع عنه، وركبت البحر الخضم... كل هذا في طلب الحق وهروبا من التقليد، والآن رجعت إلى كلمة: عليكم بدين العجائز"، فالويل لابن الجويني إن لم يلوكه الله بلطفه. ونقل عن فخر الدين الرازي إمام المتكلمين أنه قال عند الموت: "اللهم إيمانا كإيمان العجائز"...[2]

- **المعلم الرابع: في الشريعة والحقيقة[3] والظاهر والباطن**

إن تشبث الأمير بمبدأ **ترابط الشريعة بالحقيقة** كان أحد الثوابت الفكرية التي قامت عليها رؤيته في سائر ما كتب، فهو يؤمن أن الخالق قد أودع في تعاليمه من المبادئ ما يتطابق وجوهر العقل، لذلك لا مباينة بين ما تقرره الشريعة ويختاره العقل السوي، وليس للعارف إلا أن يحسن إدراك تلك الصلة القائمة بين الحقيقة والشريعة ليخُلص إلى الإيمان والإقرار بالكمال للخالق.[4]

وإذا ما حصل الإدراك **وجاء الفتح** وتوج المسار بالغنم، امتلك الإنسان النجابة الروحية التي تتيح له أن يقرأ الأشياء على غير سطحيتها، بعد أن تتبدل نظرته إلى الأمور والمظاهر، بل وإلى الدلالات لاسيما الدلالة القرآنية؛ لذلك يقسم العرفانيون قراء القرآن إلى فئتين: فئة يسمونهم أهل القرآن وهو عندهم الظاهريون الذين يتوقفون عند ظاهر القول ولا يتعدون حدود ما سمعوا من الأثر، فهذه الفئة هم الأثريون، والفئة الثانية هم أهل الفرقان، وهو الباطنيون الداركون لما يتوارى تحت أغوار الدلالات والأقوال.[5]

والقراءة الصوفية العميقة عند الأمير عبد القادر جعلت نصوصه تكتسي رمزية مشبعة بالعرفانية، تشتغل على **ثنائية الظاهر(الشريعة) والباطن(المعرفة)** الذي هو أساس التصوف، فالصوفية يقرون الظاهر ويقتبسون إشارات خفية لا يعرف مقصودها غيرهم، حيث الدلالة اللغوية المطابقة للظاهر، والدلالة الإشارية المطابقة للباطن.

---

[1] المواقف 67/1 (الموقف 22).

[2] المواقف 50/1 (الموقف 14).

[3] الشريعة: أمر بالتزام العبودية. والحقيقة: مشاهدة الربوبية. فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيام بِما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر. ينظر: الرسالة القشيرية 1/ 195.

[4] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 21.

[5] المرجع نفسه: 142.

ويرى الأمير عبد القادر أن صورة التفعيل اللفظي أو المعجمي للقرآن وحدها لا تفي بالغاية التي رمى إليها التنزيل[1]، لذلك دأب الأمير في مواطن عدة من كتاب المواقف يحرص على **تعددية الفحوى واتساع آفاق المضمون..**[2]، حيث يقول: "ومن المعلوم أن كلام الحق تعالى على وفق علمه، وعلمه تعالى محيط ومتعلق بالواجب والممكن والمستحيل، فغير بعيد أن يكون مراد الحق تعالى من الآية كل **ما فهمه أهل الظاهر وأهل الباطن..**".[3]

وقد اتخذ الأمير عبد القادر التفسير الإشاري منهجا في فهم معاني القرآن: بحمل النصوص على غير ظاهرها، وكان التأويل بالنسبة له هو أداة لرفع الحجب أو ما يعرف بالعوائق عن الحقائق الباطنة الكامنة وراء الظواهر، ففيه يخترق الحدود اللغوية والبيانية وينتقل باللفظ من الظاهر إلى ما يعتبر حقيقة أي الحقيقة التي يشير إليها لفظ القرآن[4]، فبنيت تلك اللغة التفسيرية على الطابع الإشاري مع استخدامه للرموز الصوفية، ويركز على الباطن ويقصد به جوهر الدين. ومن الشواهد على ذلك:

- قال في شرحه لقوله تعالى: (مرجَ البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)[الرحمن: 20]. قال: فالبحران **الشريعة والحقيقة**، والبرزخ بينهما العارف، **فلا تبغي الشريعة على الحقيقة، ولا الحقيقة على الشريعة.** فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين، ينفي ويثبت، وينفي عين ما أثبت، لا يستقر به قرار، ولا تطمئن به دار، متحرك ساكن، راحل قاطن، فهو كطائر يطير من غصن إلى غصن، والذي طار إليه هو الذي طار عنه. **يشاهد الشريعة** بقوله تعالى: (اعملوا فسيرى الله عملكم)[التوبة: 106]، **ويشاهد الحقيقة** بقوله: (لا يقدرون على شيء مما كسبوا)[البقرة: 264].[5]

- قال عند إيراده لقوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر)[القمر:49] قال: في قراءة الرفع، فلذا **العارف** بين نارين: نار الشريعة ونار الحقيقة، بل بين شقتي طاحون كل واحدة تدفعه إلى الأخرى.[6]

- وقال: وأما ما يقوله بعض المحققين من الصوفية أن نصوص الكتاب والسنة **على ظواهرها**، ومع ذلك فيها **إشارات خفية إلى حقائق تنكشف على أرباب السلوك** أصحاب القلوب، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان، وما هو من التفسير بالرأي المتوعد عليه في الحديث النبوي: "فما ضل من ضل إلا بالتأويل".[7]

- وقال في شرحه لقوله تعالى: (ذواتا أفنان)[الرحمن: 48] حيث يربط الأفنان **بالتجليات** واختلافها بحسب اختلاف استعداد العارفين، قال: إشارة إلى كثرة التجليات الذاتية والصفاتية وتشاجرها وتباينها، بحيث لا يشبه تجلٍّ تجليا أبد الآبدين.[8]

- قال في شرحه لقوله تعالى: (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) : "يعني لا يبصر ولا يسمع دعاك ويهتدي بهداك إلا من كان له استعداد أزلي أنه يؤمن بآياتنا، عند إيجاده وإرسال الرسل إليه. واعلم أن **كل ما تقوله الطائفة العلية**

---

[1] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 124.

[2] المرجع نفسه: 124.

[3] المواقف 27/1 (الموقف1).

[4] الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس: 117.

[5] المواقف 147/1 (الموقف75).

[6] المواقف 148/1 (الموقف75).

[7] المواقف 1236/3.

[8] المواقف 497/2 (الموقف224).

له دليل من الكتـاب والسنة... وذلك أن القوم لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على الطاعات واتباع السنة قولا وعملا وحالا قوي إيمانهم، فتوّروا -أي بحثوا- قاموس القرآن والسنة، إذ ذلك بستانهم الذي فيه يتنزهون، وفي أرجائه يترددون، ظهرت لهم منها أشياء كانت مندمجة مستورة عن العموم، وما هي بخارجة عن الأصل الذي هو الكتاب والسنة، ولا زائدة عليه، حتى **يقال: الحقيقة غير الشريعة، كلا وحاشا**، وإنما ظهرت أسرار الكتاب والسنة وإشارتهما ظهور السمن من اللبن، عندما خضّ وحرك، فهل يقال السمن ليس من اللبن؟ وإنما كان السمن باطنا في اللبن فظهر منه عندما خُضّ...".[1]

- وقال في شرحه لقوله تعالى: (قل لو كان البحر مداد لكلماتي ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) [الكهف: 110]. قال: **قال عامة المفسرين:** الكلمات هي المقدورات؛ لأن القدرة تتعلق بكل ممكن ولا نهاية للممكنـات، **وعندي من باب الإشارة** أن المراد بالكلمات: الكلمات الحقيقية، جمع كلمة، وذلك أن الحق تعالى هو المتكلم من وراء جدار كل صورة ينسب الكلام إليها؛ لأن لسان كل متكلم وسمعه وبصره كما ورد في الصحيح ولأنه وجود كل متكلم، والكلام تابع للوجود كسائر الصفات، فالكلام له تعالى حقيقة ولغيره مجاز، والمتكلمون مجازا لا نهاية لكلامهم؛ لأنهم بعد دار الدنيا يصيرون إلى الدار الأبدية، التي لا نهاية لها، فلا نهاية لكلامهم، وليس كلامهم إلا كلام الله، وإنما كان لا نهاية له؛ لأنه لم يدخل جميعه في الوجود، فيلزمه التناهي، فهو غير محصور. بخلاف البحر فإنه محصور دخل في الوجود، وكل ما دخل في الوجود فهو متناه. فلو كان البحر المتناهي مددا لكلمات ربي غير المتناهية لنفد البحر وانقضى قبل أن تنفد كلمات ربي لأنها غير متناهية، ولو جئنا بمثله مددا، أي ولو جئنا بحر آخر مثله، أي مماثل له في صفاته التي من جملتها دخوله في الوجود، والتناهي مددا، أي تقوية له وزيادة فيه، لنفد قبل أن تنفد كلمات ربي غير المتناهية. وأيضا كلامه تعالى تابع لعلمه أو هو العلم نفسه تعددت أسماؤه لتنوع ظهوراته، فإذا أضيف علمه إلى استماع دعوة المضطر، قيل سميع، وإذا أضيف علمه إلى رؤية كل شيء، قيل بصير، وإذا أفاض علما على قلب عبد من عبيده قيل متكلم، ونحو هذا، ومعلوماته لا نهاية لها فكذلك كلامه لا نهاية له.[2]

- **المعلم الخامس: إيمانه بنظرية المعرفة والمشاهدة والتجليات الإلهية**[3]: والتي تعتمد على المجاهدة الروحية وسلوك الطريق ليترقى في الدرجات والمقامات التي تنكشف عندها الأستار وترتفع الحجب، ويصفو له عالم الآخرة، ويقوده في النهاية إلى تفسير إشاري للآيات، فالمتصوف لا يسعى للعثور على المعنى الباطني للآيات، وإنما هو إلقاء معنى في القلب بطريقة الفيض بلا اكتساب وفكر، وعلى قدر قوة إيمانه تتجلى له المعاني وتتكشف له الأسرار، فيشرح ذلك المعنى بدلالات ومضامين إشارية مجازات لغوية.

- قال في سياق تفسير الآية [ق:22] "في ميزان صاحب السجلات خصوصية، فلهذا كانت جنة المعرفة **والمشاهدة** مخصوصة بقوم مخصوصين، وهم الذين أراد الحق تعالى بقوله: (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)".[4]

---

[1] المواقف 519/2 (الموقف 231).

[2] المواقف 73/1 (الموقف 28).

[3] التجليات الإلهية: بأن يلقى إليه المعنى عبر الكشف والإلهام.

[4] المواقف 110/1 (الموقف 54).

وقد ترقى الأمير في مقامات تجربته وتقلب في أحوالها بمجاهدات عملية باطنية وظاهرة[1]، واختلفت مصادر التلقي عنده من **علم لدني، ومكاشفة**[2] ، **وأحلام**[3]، وعن طريق **الجذب** ومعراج الروح، وابحاره في أسرار المعنى إلى أن يسافر إلى عالم الغيب.[4]

- وقد أشار الأمير إلى ذلك حيث يشرح في كيفية تلقيه للآيات (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [الأحزاب: 21] قال: "هذه الآية تلقيتها تلقيا **غيبيا روحانيا** فإن الله تعالى قد عوّدني أنه مهما أراد أن يأمرني، أو ينهاني أو يبشرني أو يحذرني أو يعلمني علما أو يفتيني في أمر استفتيته فيه، إلا ويأخذني مني مع بقاء الرسم، ثم **يلقي إليّ** ما أراد **بإشارة** آية كريمة من القرآن، ثم **يردني** إليّ... وقد تلقيت والمنة لله تعالى نحو نصف القرآن بهذا الطريق".[5]

- وقال في قوله تعالى: (فستعلمون من أصحاب الصراط السويّ ومن اهتدى): أي **ينكشف** لكم من هم المهتدون بالوصول إلى معرفته تعالى بسلوكهم على الطريق السوي المعتدل الذ ي لا عوج فيه، وهو صراط الله تعالى وصراط رسوله صلى الله عليه وسلم، (ومن اهتدى) أي وصل إلى معرفة الله تعالى من غير سلوك ولا شيء على المقامات، بل **بجذبة** إلهية وعناية رحمانية... **فأخذني** الحق تعالى عن نفسي ثم ألقى علي قوله: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم).[6]

- قال: "وكنت مما رحمه الله تعالى وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم على **طريقة الجذبة** لا على طريق السلوك، فإن **السالك** أول ما يحصل له **الكشف** عن عالم الحس، ثم عن عالم الخيال المطلق، ثم **ترتقي بروحه إلى السماء** الدنيا، ثم إلى الثانية، ثم إلى الثالثة، ثم إلى العرش، وهو في كل هذا من جملة العوام المحجوبين، إلى أن يرحمه الله تعالى بمعرفته **ويرفع عنه الحجاب**، فيرجع على طريقه فيرى الأشياء حينئذ بعين غير الأولى، ويعرفها معرفة حق. وهذه الطريقة وإن كانت أعلى وأكمل، ففيها طول على السالك وخطرها عظيم، فإن هذه الكشوفات كلها ابتلاء، هل يقف السالك عندها أو لا؟".[7]

- وقال بعد إيراده لهذه الآية: (وأما بنعمة ربك فحدث) [الضحى: 11] هذه الآية **ألقيت عليّ بالإلقاء الغيبي** مرارا عديدة لا أحصيها. **ولا يخفى ما قاله فيها عامة أهل التفسير. ومما ألقي علي فيها:** أن من المراد بالنعمة هنا نعمة العلم والمعرفة بالله تعالى، والعلم بما جاءت به الرسل من المعاملات والأمور المغيبات، ولا شك أن هذه النعمة أعظم النعم، وإطلاق النعمة على غيرها مجاز بالنسبة إليها. والمراد بالتحدث بها إفشاؤها وبثها لمستحقيها المستعدين لقبولها، إذ ما كل علم يصلح لكل الناس، ولا كل الناس يصلح.. تحصيله"... ثم جعلت أذكر الله تعالى **فصعقت** كالأولى، فورد علي قوله تعالى: (إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) [الأحزاب:53]، فلما رجعت إلى حسي حمدت الله تعالى ونظرت في الآية الكريمة، فوجدتها مشتملة على أنواع من البشائر، فإن (إذا) تفيد التحقيق، فهي في قوة (قد دعيتم)، و(دعيتم) مبني للمجهول يشمل دعا الحق تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم،

---

[1] المعنى في تجربة الأمير عبد القادر قراءة في المواقف: 47

[2] وهي حالة معرفة الله عن طريق الذوق والمكاشفة.

[3] الأحلام الصوفية فرع عن منهج القوم في المعرفة، وقد جعلوا من الأحلام مصدرا يتلقون منه، من الشواهد على ذلك: 279/1 (الموقف127) قال: "فكشف الحق تعالى لي مناما فأخبرني أن...".

[4] من عالم الحس إلى عالم الروح.

[5] المواقف 26/1 (الموقف1).

[6] المواقف 58/1 (الموقف18).

[7] المواقف 57/1 (الموقف18)،عند الآية:[الحجر:87].

والأمر بالدخول بعد الدعوة فيه غاية التكريم والتشريف، (وإذا طعمتم) إخبار بأن الدعوة للإكرام والإنعام والإطعام، وقوله : (فانتشروا) أمر بمعنى الإذن في الانتشار بعد الإكرام. وفي الأخبار: بأن الدعوة للإكرام وبالإذن في الانصراف بعد حصول الإنعام غاية العناية ونهاية الكرامة.[1]

- **المعلم السادس: في الولاية والأولياء،** وهي فكرة الإنسان الكامل -لابن عربي- الذي حقق مرتبة الخلافة في الأرض، وحقق درجة الصورة التي يرى فيها الله ذاته، وبلغ مرتبة **الولاية التي تشبه درجة النبوة،** وتجعل الصوفي يتلقى المعرفة اللدنية بعد الاتحاد بالخالق. فالعارف الكامل هو تجسيد إنساني لدرجة سلوكية قائمة على جهد دائم وشحذ للبصيرة مستمر بما يبذله من تضحيات، قبل أن يكون على موعد مع الحظوة.[2]

وصفة الإنسان الكامل كما ترسخت عند الأمير تعني المسؤولية، إذ لا يصح بلوغ مرتبة الكمال ونسبتها للإنسي، ما لم يكن كنفا ودرعا ومحركا للجماعة للإنسانية، لذا رأينا الأمير يوكل للإنسان الكامل مسؤولية تستجمع الشأن الدنيوي والأخروي على السواء.[3]

قال الأمير: "والمناجاة بالقرآن من بشائر الوراثة المحمدية، فإن القوم أرباب هذا الشأن قالوا: كل نوجي بلغة نبي فهو وارث ذلك النبي صاحب تلك اللغة، ومن نوجي بالقرآن كان وارثا لجميع الأنبياء، وهو المحمدي؛ لأن القرآن متضمن لجميع اللغات، كما أن مقام محمد صلى الله عليه وسلم متضمن لجميع المقامات".[4]

وقال: "وكلام الحق تعالى نوعين: باعتبار بغير واسطة مشهودة ويسمى الهاما أو القاء ونحو ذلك، وبواسطة مشهودة وهي المظاهر الروحانية ويسمى وحيا..وكلام الحق تعالى يسمعه الأنبياء، **وللأولياء منه نصيب،** ولكن أذواقهم في السماع مختلفة متباينة، فليس ذوق النبي كذوق الولي، فبين ذوقيهما ما بين رتبتيهما".[5]

وقال: وإن كثيرا من الأكابر **أولياء** هذه الأمة أعلم بالمغيبات الكونية كأبي يزيد البسطامي وعبد القادر الجيلي ومحيي الدين بن عربي وأمثالهم...[6]

- ويقول شارحا لقول ابن عربي (في الباب الثالث والسبعين): "يريد أن من **أولياء الله الأقطاب** بل هم أعلا **الأولياء** وخاصة الأصفياء، وإنما **سموا بالأقطاب** لأن فلك العالم أعلاه وأسفله إنما يدور على قطب زمانه".[7]

وقد جسد الأمير ذلك في قراءته للنص القرآني على وجه الخصوص.[8] من الشواهد على ذلك:

- في قوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) قال: من **أولياء** الأمة المحمدية من يذوق تنزيل القرآن العظيم إلى اليوم، فإذا أراد الله تعالى إنزال شيء من القرآن على **الولي** يجد ما أنزل عليه عنده منظوما كما هو من غير أن يسمع صوتا أو يرى واسطة،

---

[1] المواقف1/157، 160-161(الموقف83).

[2] الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان: 142.

[3] المرجع نفسه: 146.

[4] المواقف1/159.

[5] المواقف1/113(الموقف56).

[6] المواقف3/1149.

[7] المواقف2/871(الموقف285).

[8] أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر، هواري حمادي: 110.

ولا شيء من الكيفيات، ولا يكون لهم هذا إلا حال صعقهم وغيبتهم عن العالم وعن أنفسهم، وقد رأينا من أصحاب هذا الحال والحمد لله، ويتكرر عليهم إنزال الآية بحسب ما يريد الله منهم، وهم حالة هذا التنزيل معصومون، إذ كلام الله تعالى ما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون.[1]

- **وفي قوله تعالى:** (ألا إن أولياء الله...)[يونس:62] قال: جمهور المحققين من أهل الله تعالى على أن الولاية مكتسبة، والاكتساب افتعال، وهو طلب الشيء بقوة واجتهاد، وعليه فالعمل لأجل تحصيل الولاية التي معناها القرب من الله تعالى برفع الحجب واخلاص العبودية إليه وصدق التوكل عليه، والانحياش ظاهرا وباطنا إليها.[2]

- وقال: "والمنعم عليهم هم الذين أرام الحق تعالى حقائق الأشياء كما هي، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في دعائه: "اللهم أرني الأشياء كما هي"، فانكشف عنهم الغطاء، وتقشع سحاب الجهل بطلوع شمس المعرفة لقلوبهم، فعرفوا الحق والخلق معرفة اليقين لا يدخلها شك ولا تتطرق إليها شبهة، حتى صار الغيب عندهم شهادة، وهم الرسل والأنبياء **وورثتهم السالكون طريقهم".**[3]

- فالحسنى عنده في قوله تعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)[الليل:6] هي الطريقة المثلى، طريقة الأنبياء **وورثتهم...** وقوله (فسنيسره لليسرى)[الليل:7] أي سنستعمله في الأسباب الموصلة إلى النجاة والمعرفة بالله تعلى، على طريقة الأنبياء **والأولياء،** التي توصل إلى المشاهدة والمكاملة ...وإنما سماها يسرى لأنها تؤول بسالكها إلى الأصل".[4]

- وقال: "فلا يفهم أنه صلى الله عليه وسلم أحب غير ما أحب الله تعالى أو أراد غير ما أراده، فإن المحبة غير الإرادة، **وإذا كان الولي الذي هو قطرة من بحره الذي لا نهاية له،** يصل عند نهاية كماله إلى ان تتحد إرادته بإرادة الله تعالى، فلا يريد غير ما تعلقت به الإرادة القديمة، وإن كره ذلك شرعا أو طبعا، أو أحب ضده شرعا أو طبعا، ولهذا يقول للشيء (بسم الله) بمعنى (كن فيكون)، وما ذلك إلا لاتحاد إرادته بإرادة الحق تعالى".[5]

---

[1] المواقف 1/463.

[2] المواقف 1/134 (الموقف 67).

[3] المواقف 1/49 (الموقف 14).

[4] المواقف 1/392 (الموقف 177).

[5] المواقف 1/221 (الموقف 102).

الخاتمة

1. يعد كتـاب "المواقف" حصيلة لمجاهدات الأمير عبد القادر الصوفية لسلوك الطريق الصوفي، وقد جسد فيه الأمير عدة قضايا من الفكر الصوفي في قراءته للآيات القرآنية.
2. بروز شخصية الأمير عبد القادر الجامعة بين التصوف والثورة من خلال كتـابه "المواقف".
3. مما ساهم في إنتاج التجربة الصوفية عند الأمير عبد القادر الأصول الثقافية التي شكلت جانبا مهما في تكوينه الفكري وتأثره بشخصية والده.
4. طبيعة التصوف عند الأمير عبد القادر لم يكن طرقيا بقدر ما كان تصوفا فلسفيا يؤسس لقضايا الإشراق والعرفان والتجلي والإنسان الكامل.
5. استخدم الأمير عبد القادر أساليب أساتذة التصوف في الرمز والإشارة بدلا من التعبير والتصريح، فهو يورد رأيه في تفسير الآية بالرموز والإشارات الصّوفية.
6. غلبة التفسير الإشاري العملي عنده والاهتمام بالتربية وتزكية الروح، رغم كثرة نقوله عن ابن عربي، الذي عرف بالتفسير الإشاري النظري (الفيضي) -والذي هو مسلك فلسفي ابتعد عن أصول التأمل الصحيح في كتاب الله-.
7. فسر الآيات وفق مقامات المريد، والتي هي منازل روحية يمر بها السالك إلى الله، ويتدرج في السمو الروحي من عالم الحس إلى عالم الغيب.

قائمة المراجع

1. أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر، هواري حمادي: 109 الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع 5و6، جوان 2015/2014م.
2. الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، وكات محد مراد، دار النشر الإلكتروني.
3. الأمير عبد القادر المفكر، عشراتي سليمان، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، 2004.
4. الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الإبداع الشعري، 2000.
5. التّأويل الصّوفي للقرآن عند الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، زهرة بن يمينة، جسور المعرفة، مج: 4، ع: 4(16)، س: ديسمبر2018.
6. التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري، جواد مرابط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
7. التفسير (الإشاري) في الميزان، السكران التيمي. ينظر الرابط:
https://majles.alukah.net/t36340/
8. جدلية التصوف والسياسة عند الأمير عبد القادر، مريم بغدود، إشراف: أ.د/ بوعلي نابي.
9. الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بلغراس، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف: أ.د/ محمد عبد اللاوي، جامعة وهران، قسم الفلسفة، 2010-2011.
10. الرد على من أنكر نسبة المواقف للأمير عبد القادر، عبد الباقي مفتاح. على الرابط:
https://books.openedition.org/ifpo/2527
11. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
12. عصر الأمير عبد القار الجزائري، ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الإبداع الشعري، 2000.
13. قاموس المصطلحات الصوفية، أيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
14. كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، الأمير عبد القادر الجزائري، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1966.
15. كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر: متصوفة الجزائر وابن عربي، فايزة بوسلاح، الحوار المتوسطي، مج: 12، ع: 2، س: ماي2021.